مهند مصطفى*

العلاقات الإسرائيلية الأذربيجانية: عندما يتحول تقاطع المصالح الاستراتيجية إلى علاقاتٍ دبلوماسيةٍ كاملة

ملخص:

يهدف هذا البحث إلى تحليل العلاقات الأذربيجانية الإسرائيلية، التي تشكل نموذجاً لكيف يساهم تقاطع مصالح استراتيجية بين بلدين إلى تعزيز العلاقات الدبلوماسية بينهما في كل المجالات، ما يؤكد أن تقاطع المصالح ذات الطابع الاستراتيجي يمكن أن يشكل رافعةً لعلاقات دبلوماسية عميقة بين دولتين. وتبرز أهمية دراسة العلاقات الإسرائيلية الأذربيجانية في ظل تغليظ تقاطع المصالح بين إسرائيل ودول عربية وإسلامية في السنوات الأخيرة بما فيه تقاطع مصالح استراتيجية، من جهة، واقتصادية ذات بعد استراتيجي، من جهة أُخرى. وهي التقاطعات نفسها التي عززت وعمّقت العلاقات الإسرائيلية الأذربيجانية، تلك الدولة المسلمة ذات العلاقات الأهم مع إسرائيل في الوقت الراهن. والمثير في هذه العلاقات أنّ نفس نمط تقاطع المصالح بين الدولتين يعود على نفسه في علاقات إسرائيل مع دول عربية في الوقت الراهن، فمثلاً لعب العداء لإيران دوراً مركزياً في تعزيز العلاقات الإسرائيلية الأذربيجانية، وهو ما تتشارك به إسرائيل ودول عربية في السنوات الأخيرة بشكل كبير، كما أنّ تعقيد البيئة الإقليمية لأذربيجان (الصراع مع أرمينيا مثلاً) أثّر على توجهها نحو تعزيز علاقاتها مع إسرائيل عسكرياً وأمنياً، وقد تدفع تعقيدات البيئة الإقليمية للحالة العربية إلى توجُّهٍ مماثلٍ نحو إسرائيل.

لذلك، فقد تكون لدراسة العلاقات الإسرائيلية الأذربيجانية دلالاتٌ مهمةٌ على فهم مستقبل العلاقات الإسرائيلية مع البيئة الإقليمية المحيطة بها في السنوات الأخيرة والمقبلة.

* أكاديمي وباحث، محاضر في كلية العلوم السياسية بجامعة حيفا.

تدخل العلاقات الإسرائيلية الأذربيجانية ضمن الكثير من الدوائر في العلاقات الخارجية والاستراتيجية لإسرائيل، فهي جزء من السعي الإسرائيلي للبحث عن مصادر بديلة للطاقة، وجزء من منظومة محاربة إيران، خاصة مشروعها النووي، وتقليص نفوذها الإقليمي في منطقة القوقاز ووسط آسيا، وجزء من منظومة سياسات الأطراف الجديدة التي تعمل إسرائيل على تشييدها مؤخراً.

ينطلق هذا البحث من ادعاء أن هناك أربعة عوامل لعبت دوراً في بلورة التوجهات الإسرائيلية نحو تعزيز علاقتها مع أذربيجان:

- أولاً: المحور الإيراني، حيث شكلت أذربيجان بالنسبة لإسرائيل ساحةً خلفيةً تنطلق منها في حربها ضد إيران ومشروعها النووي.
- ثانياً: البحث عن مصادر بديلة للطاقة، وذلك يتعلق بأمن الطاقة القومي، حيث يشكل النفط الأذري ٤٠٪ من واردات النفط إلى إسرائيل.
- ثالثاً: ترى إسرائيل في أذربيجان مركباً مهماً من مركبات إعادة إحياء سياسات الأطراف التي تراها إسرائيل جزءاً من منظومتها الاستراتيجية العامة في السنوات الأخيرة.
- رابعاً: ترى إسرائيل في علاقتها مع أذربيجان أهمية رمزية إلى جانب الأهمية الاستراتيجية، فأذربيجان دولة مسلمة وشيعية وعضو في منظمة مؤتمر الدول الإسلامية، وذلك يحمل أهميةً كبيرةً لإسرائيل من الناحية الرمزية.

مقدمة:

اعترفت إسرائيل باستقلال أذربيجان في كانون الأول عام ١٩٩١. وبدأت العلاقات الدبلوماسية بين إسرائيل وأذربيجان عام ١٩٩٢، ذلك العام الذي شكّل ثورةً في العلاقات الدبلوماسية الإسرائيلية مع دول العالم في أعقاب مؤتمر السلام في مدريد، وانهيار المعسكر الاشتراكي–الشرقي، وانتهاء الحرب الباردة. في هذا العام بدأت العلاقات الدبلوماسية الرسمية والكاملة مع دولٍ مثل: روسيا والهند والصين وغيرها من دول العالم، ومنها أذربيجان، حيث تم افتتاح السفارة الإسرائيلية في العاصمة باكو عام ١٩٩٣ في عهد حكومة رابين، وقد كان افرايم سنيه، الذي شغل منصب نائب وزير الدفاع في ذلك الوقت من الشخصيات التي بلورت بداية العلاقات بين البلدين.[١] في المقابل، وعلى الرغم من تطور العلاقات بين البلدين، لم تفتح أذربيجان سفارةً لها في تل ابيب، وبقيت إدارة العلاقات الدبلوماسية بين البلدين تُدار من خلال مكاتب شركة الطيران الوطنية الأذرية في إسرائيل. ويعود ذلك إلى محاولة أذربيجان تجنب المزيد من ضغوط الدول الإسلامية، لا سيما إيران، عليها بسبب علاقاتها مع إسرائيل، فقد صرح رئيس قسم الإعلام القومي الأذري حكمت حاجيف بأنّ أذربيجان تتعرض لضغوطٍ كبيرةٍ من دول إسلامية من أجل قطع علاقاتها مع إسرائيل، لكنها ترفض ذلك.[٢] مع ذلك، لا يمكن تقييم العلاقات بين البلدين إلا بوصفها علاقات استراتيجية، إذ وصف وزير خارجية أذربيجان العلاقات مع إسرائيل، خلال زيارةٍ تاريخيةٍ له لإسرائيل كانت الأُولى لوزير خارجية أذري إلى إسرائيل منذ بداية العلاقات بين البلدين، بأن أذربيجان هي نموذج للعلاقات بين دولة مسلمة وإسرائيل.[٣]

تدخل العلاقات الإسرائيلية الأذربيجانية ضمن الكثير من الدوائر في العلاقات الخارجية والاستراتيجية لإسرائيل، فهي جزء من السعي الإسرائيلي للبحث عن مصادر بديلة للطاقة،[٤] وجزء من منظومة محاربة إيران، خاصة مشروعها النووي، وتقليص نفوذها الإقليمي في منطقة القوقاز ووسط آسيا،[٥] وجزء من منظومة سياسات الأطراف الجديدة التي تعمل إسرائيل على تشييدها مؤخراً، وتشكل أذربيجان حلقة مركزية من سياسة الأطراف الإسرائيلية،[٦] وهي جزء من المصالح الرمزية لإسرائيل في تعزيز علاقاتها مع بلدٍ مسلم وشيعيّ، خاصة بعد أن انتهت علاقاتها مع إيران في أعقاب الثورة الإيرانية عام ١٩٧٩، وتقع إيران في الموقع الجيُواستراتيجي نفسه الذي تقع فيه أذربيجان، وعليه فقد استبدلت إسرائيل دولةً مسلمةً شيعيةً في موقع جيواستراتيجي حيوي بدولةٍ أُخرى لها الصفات والموقع نفسهما.

تتميز العلاقات الأذرية مع تركيا وإيران بمفارقةٍ كبيرةٍ تؤكد تفوُّق الأبعاد القومية على الانتماء المذهبي. فمن جهة تربط أذربيجان علاقات متينة مع تركيا، فتركيا ترى في الشعب الأذري امتداداً للقومية التركية من الناحية الإثنية، وذلك على الرغم من انتماء الشعب الأذري للمذهب الشيعي، فيما تركيا هي مسلمة سنية. في المقابل، يسود التوتر والعداء علاقات أذربيجان مع إيران، رغم أن الأخيرة هي دولة شيعية، مثل أذربيجان، وتعيش بين أكنافها أقلية أذرية شيعية، لكنها ذات أُصولٍ إثنيةٍ قوميةٍ مختلفة.

يعتبر ألكسندر مورينسون، ويوافقه كاتب هذا المقال في توجهه، أنّ أحد العوامل المركزية التي وجهّت العلاقة من طرف إسرائيل نحو أذربيجان كان إعادة بعث سياسات الأطراف التي بلورها بن غوريون في الخمسينيات، وتحاول إسرائيل بلورتها من جديد من خلال الجمهوريات السوفييتية السابقة، وفي مقدمتها أذربيجان.[٧] إلا أن هدف سياسات الأطراف، التي تتبعها إسرائيل في جمهوريات الاتحاد السوفييتي السابق، محاصرة إيران بالدرجة الأولى، وليس العالم العربي بالأساس، فيما كانت سياسات الأطراف التي صاغها بن غوريون تهدف، بمساعدة إيران، إلى إيجاد تحالفات لإسرائيل مع دول غير عربية محيطة بالعالم العربي (مثل: تركيا وإيران وأثيوبيا).[٨]

يمكن القول إن تطور العلاقات بين الدولتين كان أسرع من حيث عمقها وشكلها، وتماهي الدولتين في التوجهات السياسية، والمصالح الاستراتيجية المشتركة مع أي دولة أُخرى حاولت إسرائيل تطوير علاقتها بها في وسط آسيا والشرق الأوسط. تُشبّه الباحثة الإسرائيلية غاليا ليندشتراوس العلاقات التي تشكلت بين إسرائيل وأذربيجان بتلك العلاقات القوية والعميقة التي كانت بين إسرائيل وإيران في الخمسينيات والستينيات، ومع تركيا في التسعينيات، ومع جنوب أفريقيا في السبعينيات والثمانينيات.[٩]

تعتبر أذربيجان الدولة المسلمة التي تتمتع إسرائيل بعلاقاتٍ مميزةٍ وعميقةٍ معها، بعد أن فقدت علاقتها المميزة مع إيران بعد سقوط الشاه خلال الثورة الإيرانية عام ١٩٧٩ ، وتراجعت علاقتها المميزة مع تركيا في العقد الأخير، بعد أن وصلت ذروتها في منتصف التسعينيات. لذلك، فان إسرائيل تولي أهمية كبيرة للعلاقات مع أذربيجان، ليس فقط للمصالح الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية المشتركة بينهما، وإنما أيضاً للرمزية في أهمية علاقاتها مع دولةٍ مسلمةٍ عضوٍ في منظمة المؤتمر الإسلامي. لذلك، فإنّ الخطاب الإسرائيلي يسوق الإسلام في أذربيجان بطريقة تخالف تسويقه للإسلام في باقي دول العالم، وأقصد الخطاب الإسرائيلي بكل مركباته الإعلامية والأكاديمية والسياسية. فالإسلام في أذربيجان يتم وصفه إسرائيلياً بأنه متسامح ومعتدل وبسيط، ولا يؤثر على السياسة، ويمدح الخطاب الإسرائيلي النظام السياسي الأذري بتوجهه العلماني فيما يتعلق بمكانة الدين في المجال العمومي، رغم أنّ النظام السياسي هناك يعتبر نظاماً سلطوياً وغير ديمقراطي.

تعتبر أذربيجان دولةً ذات نظام سلطوي، وقد أشار معهد الدراسات الخارجية إلى أنّ السلطة فيها تحاول تحديد وتقييد سيرورة التحديث، من جهة، ومنع أي إصلاحاتٍ ديمقراطيةٍ، من جهةٍ أُخرى، فضلاً عن تدهور حقوق الإنسان في الدولة.[١٠] ويصل عدد سكان أذربيجان إلى نحو ٨,٥ مليون نسمة، ويعتمد اقتصادها على تصدير النفط والغاز.[١١]

تتميز العلاقات الأذرية مع تركيا وإيران بمفارقةٍ كبيرةٍ تؤكد تفوُّق الأبعاد القومية على الانتماء المذهبي. فمن جهة تربط أذربيجان علاقات متينة مع تركيا، فتركيا ترى في الشعب الأذري امتداداً للقومية التركية من الناحية الإثنية، وذلك على الرغم من انتماء الشعب الأذري للمذهب الشيعي، فيما تركيا هي مسلمة سنية. في المقابل، يسود التوتر والعداء علاقات أذربيجان مع إيران، رغم أن الأخيرة هي دولة شيعية، مثل أذربيجان، وتعيش بين أكنافها أقلية أذرية شيعية، لكنها ذات أُصولٍ إثنيةٍ قوميةٍ مختلفة. تؤثر هذه المنظومة المتمثلة في علاقات أذربيجان مع تركيا وإيران على مجمل علاقة البلد مع إسرائيل، وعلى علاقة الأخيرة مع أذربيجان،[١٢] كما سنرى لاحقاً.

مراحل تطور العلاقات بين البلدين

تطورت العلاقات بين البلدين في مرحلتين مركزيتين: الأولى سنوات التسعينيات، التي تميزت بتطوُّرٍ هادئٍ وبطيءٍ في العلاقات، والمرحلة الثانية التي بدأت منذ أواخر التسعينيات وحتى الآن، وتميزت بتطوُّرٍ كبيرٍ أُفقياً وعمودياً في العلاقات بين الدولتين، حتى بات يمكن وصفها بعلاقاتٍ استراتيجية.

منذ العام ١٩٩٣ حَكَم البلادَ بقبضةٍ حديديةٍ السكرتير السابق للحزب الشيوعي حيدر علييف. كان علييف محافظاً وحذراً في علاقاته مع الغرب، ومنها إسرائيل، ومع جيرانه، وأهمهم إيران، وقد تميزت العلاقات الإسرائيلية مع أذربيجان في عهده بمستوى منخفض من العلاقات، وكانت السفارة الإسرائيلية في باكو العاصمة سفارةً صغيرة. في العقد والنصف الأول بعد استقلال أذربيجان لم تتطور أي علاقات اقتصادية جدية بين البلدين، وقد حاولت الصناعات الجوية العسكرية والمدنية أن تطور علاقاتٍ تجاريةً مع أذربيجان، إلا أنها فشلت في ذلك، وحتى الاتفاق الذي وقعته شركة الطيران الأذرية مع الصناعات الجوية الإسرائيلية لتقوم الأخيرة بصيانة طائراتها تم إلغاؤه بعد سنوات قليلة.[١٣]

دفعت الولايات المتحدة الدولتين نحو تطوير العلاقات فيما بينهما في التسعينيات، وكان التصور المرسوم أن يتم تشكيل تحالف رباعي يضم إسرائيل وتركيا وأذربيجان وجورجيا أمام المحور الذي يضم روسيا وسوريا وإيران وأرمينيا، إلا أنّ تحولاتٍ في السنوات الأخيرة بعثرت هذا التصور، وجعلت عملية بلورته معقدةً جداً، ففي الأعوام الأخيرة توترت العلاقات التركية الإسرائيلية، كما أن الحرب على جورجيا واستعمال الأخيرة سلاحاً إسرائيلياً ضد القوات الروسية التي اجتاحت جورجيا، وضع إسرائيل في موقعٍ مُحرجٍ مع روسيا، وشكّل التوتر بين أذربيجان وتركيا بسبب تقارب الأخيرة مع أرمينيا ضربةً أُخرى لهذا المحور، وفي النهاية فإن إسرائيل ترى في علاقتها مع روسيا علاقةً استراتيجيةً، وليست علاقة عداء.

بدأ التحول في العلاقات بين البلدين عام ٢٠٠٣، وهو العام الذي استلم فيه إلهام علييف رئاسة الدولة خلفاً لوالده حيدر، الذي قام بتطوير العلاقات مع الدول الغربية بسبب تقاطع المصالح المشتركة بين أذربيجان وهذه الدول، ومن ضمنها إسرائيل، كما اعتبر إلهام علييف أنّ إيران تشكل خطراً على بلاده لأنها تحاول التأثير على السكان في الدولة، وغالبيتهم من الشيعة، فضلاً عن محاولاتها جر أذربيجان بعيداً عن المعسكر الغربي، وتعزيز نفوذها في منطقة القوقاز على حساب أذربيجان وفوق ظهرها. اعتبر إلهام علييف أنّ تعزيز العلاقات مع إسرائيل يشكل أحد المفاتيح نحو علاقة بلاده مع الغرب عموماً، ومع الولايات المتحدة خصوصاً.

الرئيس الاذربيجاني الهام علييف: عناق مع بيريس.

في المقابل، رأت إسرائيل في تعميق العلاقات الدبلوماسية مع أذربيجان فرصةً استراتيجيةً كبيرة، وتجلى ذلك في الزيارات التي قام بها مسؤولون إسرائيليون قبل عام ٢٠٠٣ وبعد ذلك، فقبل عام ٢٠٠٣، زار نتنياهو أذربيجان عام ١٩٩٧، عندما شغل في ذلك الوقت منصب رئيس الوزراء، وذلك في طريق عودته من رحلته السياسية إلى الشرق الأقصى، فلم تكن زيارةً مخططاً لها أو مُعدّاً لها مُسبقاً، لكنها دلت أيضاً على بداية تبلور تصورٍ إسرائيليٍّ لأهمية هذه الدولة في المرحلة المقبلة، مع بداية الحديث عن خطر المشروع النووي الإيراني.

إلا أنّ تعميق العلاقات بين البلدين في الألفية الجديدة أدى إلى زيارة عدد الزيارات، كمّاً ونوعاً، بين الدولتين، خاصة زيارة مسؤولين إسرائيليين، ففي عام ٢٠٠٩ زارها رئيس الدولة حينذاك شمعون بيرس، كما زارها رئيس الوزراء أولمرت عام ٢٠١٠، وزارها ليبرمان عندما شغل منصب وزير الشؤون الاستراتيجية، وبعدها وزير الخارجية ثلاث مرات (٢٠١٠، ٢٠١٢، ٢٠١٤)، وتُوِّجت هذه الزيارات بزيارة وزير الدفاع بوغي يعلون عام ٢٠١٤، التي اعتبرت تتويجاً للتعاون الأمني والعسكري بين البلدين، وتذكرنا بزيارة يعالون في العام نفسه للهند التي اعتبرها أيضاً زيارة تاريخية.

وفي العام ٢٠١٣ زار وزير الخارجية الأذري إسرائيل، واعتُبرت زيارةً في غاية الأهمية ودليلاً على العلاقات القوية بين البلدين.[١٤] وحتى العام ٢٠١٣ تم توقيع ست معاهدات بين البلدين.[١٥] وعلاوةً على ذلك، فإن الموقع الجيو- استراتيجي لأذربيجان يمنحها أهميةً استراتيجيةً لإسرائيل في كل المجالات، وقد وصف شمعون بيرس أذربيجان، خلال زيارة وزير خارجية الأخيرة لإسرائيل في أيار ٢٠١٣، بأن موقعها الجغرافي يُحوّلها إلى دولةٍ مفتاحيةٍ في المنطقة.[١٦]

تشير تقارير إعلامية ودبلوماسية إلى أنّ الموساد الإسرائيلي لديه قاعدة كبيرة في الدولة، يقوم من خلالها بجمع المعلومات الاستخبارية عن إيران، وربما التخطيط لتنفيذ هجماتٍ مستقبليةٍ عليها، وتخطيط وتنفيذ عمليات اغتيال وتخريب، حيث شهدت إيران في السنوات الماضية، قبل توقيع الاتفاق النووي في فيينا، سلسلةً من الاغتيالات التي طالت علماء ذرة إيرانيين.

كما تربط إسرائيل بأذربيجان علاقات ثقافية تتعلق بوجود الآلاف من يهود أذربيجان الذين هاجروا إلى إسرائيل، ولا يزالون يقيمون علاقات مع البلد الأصل. يشير ليف سفيبك، رئيس اتحاد إسرائيل- أذربيجان أنّ التقديرات تشير إلى أن سبعين ألف يهودي هاجروا من أذربيجان إلى إسرائيل، وقد اندمج قسمٌ منهم في صناعات النفط والغاز في إسرائيل نظراً إلى تجربتهم التي اكتسبوها في هذا المضمار من المكان الذي هاجروا منه. ويقدر سفيبك أن هناك ثلاثين ألف يهودي بقوا في أذربيجان أغلبهم يسكنون العاصمة باكو .١٧ كما تتميز العلاقات بين اليهود والأذريين في أذربيجان بأنها علاقات تسامح وتفاهم، كما تشير إلى ذلك المصادر الإسرائيلية، فلم يكن هناك تاريخ من الصراع بين اليهود والأذريين المسلمين في المنطقة، أو مظاهر من اللاسامية، لا بل تميزت العلاقات بين المجموعتين بـعلاقات تسامح، وحتى بعلاقات زواج مختلطة قائمة حتى الان.[١٨]

يتضح من تحليل العلاقات الأذربيجانية الإسرائيلية أن الموقف الأذري يشكل أحد الأسباب لموقف إسرائيل الرافض للاعتراف بالكارثة الأرمينية خلال الحرب العالمية الأُولى، وذلك يؤكد أن إسرائيل لا تأخذ بعين الاعتبار فقط الموقف التركي من الموضوع، بل أيضاً الموقف الأذري، فمنذ استقلال أذربيجان تدير الدولة صراعاً عسكرياً كل فترةٍ مع دولة أرمينيا على السيطرة على منطقة نكورغو كاراباخ، التي تعتبرها أذربيجان منطقة محتلة، ما جعل أذربيجان تعارض بشدة الاعتراف بالكارثة الأرمينية، وهو ما يؤثر على الموقف الإسرائيلي من هذا الاعتراف. وعلى الرغم من الضغوطات الكبيرة التي تقوم بها شخصيات وجماعات ومنظمات يهودية إسرائيلية وعالمية على إسرائيل للاعتراف بالكارثة الأرمينية، فإنّ إسرائيل حتى الساعة لم تعترف بشكلٍ رسميٍّ بها، بسبب علاقتها مع أذربيجان وتركيا.[١٩]

المصالح المشتركة بين البلدين

تأسست العلاقات بين البلدين على مجموعةٍ كبيرةٍ من المصالح المشتركة، والمصالح الذاتية القومية التي تحتاج كل دولة إلى الأخرى من أجل تعزيزها. تعتبر أذربيجان الساحة الأمامية لإسرائيل في حربها ضد إيران، وذلك على الرغم من أن ربع السكان في إيران من أصل أذري، حتى أن أصول خامنئي، المرشد الأعلى، تعود إلى أصول أذرية. تشير تقارير إعلامية ودبلوماسية إلى أنّ الموساد الإسرائيلي لديه قاعدة كبيرة في الدولة، يقوم من خلالها بجمع المعلومات الاستخبارية عن إيران، وربما التخطيط لتنفيذ هجماتٍ مستقبليةٍ عليها، وتخطيط وتنفيذ عمليات اغتيال وتخريب، حيث شهدت إيران في السنوات الماضية، قبل توقيع الاتفاق النووي في فيينا، سلسلةً من الاغتيالات التي طالت علماء ذرة إيرانيين أو مهندسين وعاملين في المنشآت النووية الإيرانية. فحسب صحيفة الصانداي تايمز، فإن الموساد الإسرائيلي له مواقع متقدمة في أذربيجان للتنصت على إيران وجمع معلومات استخبارية عنها، ما حدا بإيران بعد النشر في الصانداي إلى أن تحتج بشكلٍ رسميٍّ على أذربيجان، بادعاء أنّ الذين ينفذون عمليات الاغتيال ضد علماء الذرة الإيرانيين يهربون إلى أذربيجان.[٢٠]

وإضافةً إلى ذلك، تعتبر أذربيجان إحدى الدول المركزية التي تستورد الصناعات العسكرية من إسرائيل، وقد تطورت العلاقات التجارية العسكرية بين البلدين إلى مستوى من التعاون دفع إسرائيل إلى فتح خط إنتاجٍ للطائرات بدون طيار في أذربيجان، ولا شك أنّ حجم مثل هذه الصفقة قد يقدر بمئات الملايين من الدولارات، وتدل على عمق العلاقات العسكرية بين البلدين، ففتح خط إنتاج يدل على الثقة المتبادلة التي توليها الدولتان لبعضهما في المجال الأمني.[٢١] وتعتبر العلاقات العسكرية بين الطرفين على الصعيد الاقتصادي شبيهة بتلك العلاقات التي كانت بين إسرائيل وتركيا في

تتعامل إسرائيل بقدرٍ كبيرٍ من الدبلوماسية العلنية في الصراع الدائر بين أرمينيا وأذربيجان، فمن جهة تزود أذربيجان بالسلاح بشكلٍ سريّ، ومن جهةٍ أُخرى لا تتخذ موقفاً واضحاً من الصراع الدائر بين الدولتين على إقليم نغورنو- كراباخ. وقد ظهر هذا الموقف في دورة الصراع العسكري الأخيرة حول الإقليم في نيسان ٢٠١٦، فقد زودت إسرائيل أذربيجان بالسلاح خلال المعارك (حاولت القيام بذلك سراً)، ومن جهة أُخرى لم تتخذ موقفاً سياسياً علنياً داعماً لحليفتها الاستراتيجية.

الماضي، وتلك التي تتشكل بين إسرائيل والهند في الوقت الراهن.

جاءت زيارة وزير الدفاع السابق بوغي يلعون لأذربيجان عام ٢٠١٤ دليلاً على عمق العلاقات العسكرية بين البلدين، خاصة فيما يتعلق بالتجارة العسكرية بينهما، وقد أعقب الزيارة سجال عام في إسرائيل حول تزويد أذربيجان بالسلاح الإسرائيلي، خاصة على خلفية الصراع الدموي بينها وبين أرمينيا، إذ إنها قد تستعمل الأسلحة الإسرائيلية في حربها ضد أرمينيا، أو يمكن أن تشكل الأسلحة دافعاً لدى أذربيجان لتصعيد التوتر العسكري مع أرمينيا.[٢٢] إلا أنّ إسرائيل الرسمية ردت على هذا السجال بالتأكيد أن العلاقات والمصالح التي تربط إسرائيل مع أذربيجان هي علاقة عميقة ولا تقارن بالعلاقات مع أرمينيا، والحقيقة أنّ أذربيجان ليست الدولة الوحيدة الموجودة في حالة صراعٍ مع جيرانها، وتزودها إسرائيل بالأسلحة، خاصة في أفريقيا.

كما تستفيد أذربيجان من علاقتها مع إسرائيل في مسألة صراعها مع أرمينيا حول إقليم نغورنو-كراباخ، وتشكل هذه المسألة قضيةً قوميةً من الدرجة الأولى في أذربيجان، وتعتقد أذربيجان أن علاقتها مع إسرائيل سوف تساعدها في صراعها مع أرمينيا في هذه المسألة، سواء على المستوى العسكري أو على المستوى الدبلوماسي، خاصة في الولايات المتحدة الأمريكية، علماً أن روسيا تعتبر إحدى الدول الداعمة لأرمينيا.

ظلت مسألة إقليم نغورنو كراباخ مسألة صامتة حتى انهيار الاتحاد السوفييتي الذي منح الإقليم حكماً ذاتياً في إطار ولاية أذربيجان، وفي العام ١٩٨٨ أبدى الأرمن في الإقليم رغبتهم في الانفصال عن أذربيجان أو/ و الانضمام إلى أرمينيا، ونظموا استفتاء حول الموضوع عام ١٩٩١ صوتوا خلاله لفكرة الانضمام إلى أرمينيا، إلا أن هذا القرار أدى إلى اندلاع الحرب بين أذربيجان وأرمينيا منذ عام ١٩٨٨ حتى تم توقيع اتفاق وقف إطلاق النار عام ١٩٩٤، كانت أرمينيا قد سيطرت على الإقليم، (لذلك تعتبرها أذربيجان دولة محتلة والإقليم منطقة محتلة)، وترى أذربيجان أن إسرائيل تستطيع تمكينها من إعادة السيطرة على الإقليم من خلال الحصول على أسلحة إسرائيلية متقدمة، وذلك بسبب حظر السلاح الذي تم فرضه على الدولتين في أعقاب الحرب، إلا أنّ إسرائيل لا تلتزم بالحظر، وتقوم بتزويد السلاح لأذربيجان،[٢٣] كما تفعل إسرائيل في مناطق صراع أُخرى فرض حظر السلاح على الأطراف المتصارعة مثل الصراع في جنوب السودان.

تزداد أهمية إسرائيل في هذا الصراع، بسبب الدعم الذي تقدمه روسيا لأرمينيا في صراعها مع أذربيجان حول الإقليم. وتعتقد أذربيجان أن أرمينيا ما كانت لتستطيع السيطرة على الإقليم دون الدعم الروسي، وفي الوقت نفسه، فإنّ أذربيجان غير قادرة على تحدي روسيا مباشرة، وترى في العلاقات مع إسرائيل علاقة توازن مقابل الدعم الروسي لأرمينيا، فإسرائيل تزودها بالسلاح وتضمن لها علاقات جيدة مع الولايات المتحدة الأمريكية. ففي هذا السياق يشير أسيم مولارزادا، عضو لجنة العلاقات الدولية في البرلمان الأذري، إلى أنه «يوجد لأذربيجان الكثير من الأصدقاء اليهود وهم يساعدوننا في الولايات المتحدة الأمريكية، بالذات أذربيجان المسلمة هي داعمة لإسرائيل، وأرمينيا المسيحية داعمة لإيران.»[٢٤]

وقد قدمت أرمينيا احتجاجاً ضد إسرائيل بسبب تزويد الأخيرة السلاح لأذربيجان في دورة القتال الأخيرة التي نشبت بين البلدين في نيسان ٢٠١٦ حول إقليم ناغورنو كاراباخ، وحاولت من خلاله أذربيجان استعادة الإقليم، ونجحت جزئياً في ذلك. وقد نشرت وسائل إعلام صوراً لطائرةٍ كبيرةٍ تابعةٍ لوزارة الدفاع الأذرية كانت وصلت إلى مطار في النقب لنقل أسلحةٍ إسرائيليةٍ خلال المعارك في نيسان ٢٠١٦، مرتين على الأقل (الثاني والسادس من نيسان).[٢٥] وتشير التقارير إلى أنّ إسرائيل زودت أسلحة لأذربيجان منذ العام

٢٠١٢ وحتى منصف ٢٠١٦ بما قيمته خمسة مليارات دولار من صفقات الأسلحة.[٢٦] وهو مبلغٌ كبيرٌ جداً تم دفعه في مدة قصيرة، ويدل على أن إسرائيل هي مزود السلاح الرئيسي لهذه الدولة.

تتعامل إسرائيل بقدرٍ كبيرٍ من الدبلوماسية العلنية في الصراع الدائر بين أرمينيا وأذربيجان، فمن جهة تزود أذربيجان بالسلاح بشكلٍ سريّ، ومن جهةٍ أُخرى لا تتخذ موقفاً واضحاً من الصراع الدائر بين الدولتين على إقليم نغورنو- كاراباخ. وقد ظهر هذا الموقف في دورة الصراع العسكري الأخيرة حول الإقليم في نيسان ٢٠١٦، فقد زودت إسرائيل أذربيجان بالسلاح خلال المعارك (حاولت القيام بذلك سراً)، ومن جهة أُخرى لم تتخذ موقفاً سياسياً علنياً داعماً لحليفتها الاستراتيجية. يعود هذه الموقف إلى سببين، الأول التجربة الإسرائيلية بعد شن الحرب الروسية على جورجيا، حيث توترت العلاقات بين إسرائيل وروسيا في أعقاب الغزو الروسي لجورجيا، بسبب انكشاف حجم التسلح الإسرائيلي لجورجيا الذي استُعمل ضد القوات الروسية. وفي حالة الصراع بين أذربيجان ونغورنو كاراباخ، فإنّ روسيا تعتبر دولةً داعمةً لأرمينيا، وفرضت على البلدين خلال المواجهة الأخيرة وقف القتال. تحاول إسرائيل من اتخاذ موقف الحياد السياسي بين الطرفين الحفاظ على علاقاتها مع روسيا، خاصةً بعد التفاهمات التي توصل إليها البلدان في أعقاب التدخل الروسي في سوريا. أما السبب الثاني، فيسوقه افرايم سنيه، أحد مهندسي العلاقات مع أذربيجان، حيث يوجه نقداً شديداً لإسرائيل بسبب موقفها المحايد وعدم اتخاذها موقفاً دبلوماسياً صريحاً وداعماً لدولةٍ حليفةٍ مهمة. ويشير سنيه إلى أنّ موقف حكومة اليمين نابعٌ من تشابه الاحتلال الإسرائيلي للضفة الغربية مع الاحتلال الأرميني لنغورنو كاراباخ، فإذا اتخذت إسرائيل موقفاً داعماً لأذربيجان بحقها في استعادة أراضيها المحتلة من أرمينيا، فإن ذلك سيحرج موقفها السياسي الرافض للانسحاب من الأراضي الفلسطينية المحتلة.[٢٧] تحليل فيه الكثير من الوجاهة، خاصةً في ظل وجود حكومة يمينية كتلك التي تحكم إسرائيل الآن. ويمكن إضافة الموضوع المسيحي- المسلم كعاملٍ في هذا الموقف، فإسرائيل اليمينية التي تروج للإسلاموفوبيا في أوروبا والعالم، سيكون من الصعب عليها تقديم دعمٍ علنيٍّ ورسميٍّ لدولةٍ مسلمةٍ ضد دولة مسيحية، رغم أن هذه المسألة لا تلعب دوراً مركزياً في صراع الدولتين على إقليم كاراباخ، لكنه قد ينعكس سلباً على إسرائيل في الغرب.

وفعلاً كان رهان أذربيجان على إسرائيل في تعزيز علاقتها مع الولايات المتحدة في مكانه، فقد لعب اللوبي اليهودي والمنظمات اليهودية دوراً كبيراً في تعزيز العلاقات الإسرائيلية الأذرية، من جهة، وفي تعزيز العلاقات الأمريكية الأذرية، من جهةٍ أُخرى، وقد

السفارة الاسرائيلية في باكو.

رأت المنظمات اليهودية الداعمة لإسرائيل أنّ منطقة القوقاز تحمل مكنوناً كبيراً من الاستثمار الاقتصادي ومصادر الطاقة الذي قد تستفيد منه إسرائيل بشكل كبير. كما ساهمت جماعات الضغط اليهودية في الضغط على الكونغرس لسنّ قوانين أمريكية تدعم الجمهوريات المستقلة حديثاً في القوقاز. وقد تضمنت هذه التشريعات تقديم دعمٍ خاصٍّ لمشاريع اقتصادية إسرائيلية، تحديداً، في التطوير الاقتصادي في الزراعة والصحة ومجالاتٍ أُخرى.[٢٨] لذلك يمكن اعتبار أنّ اللوبي اليهودي في الولايات المتحدة كان لاعباً مركزياً في تعزيز العلاقات بين إسرائيل وأذربيجان، فمن جهةٍ استفادت إسرائيل من ساحةٍ استراتيجيةٍ خلفيةٍ لإيران، ومن جهةٍ أُخرى وجدت أُفُقاً واسعاً للاستثمار الاقتصادي في مجالات الطاقة والزراعة والصناعة والسلاح. أما أذربيجان، فقد استطاعت الولوج إلى مراكز اتخاذ القرار الأمريكي والتأثير عليه بما يخدم مصالح النخبة المسيطرة على البلاد، ويضمن المصالح الأذرية أمام الضغوط الروسية والأرمينية.

يعتبر السلاح الإسرائيلي عاملاً أساسياً في اعتبارات أذربيجان في تعزيز علاقتها مع إسرائيل، ففي حزيران ٢٠١٥ شارك لأول مرة وفد أمني رفيع المستوى من أذربيجان في المعرض الأمني الدولي الذي أُقيم في تل أبيب، ضم رئيس الحرس الوطني، وهيئة القوات الخاصة، ووزارة الدفاع، وتأتي هذه الزيارة في أعقاب التخوفات الأذرية من تنامي حركات مسلحة تنتمي إلى حركاتٍ جهاديةٍ في منطقة الشرق الأوسط، خاصة في أعقاب ازدياد نشاط حزب الله وإيران في الدولة على ذمة مصادر إسرائيلية، حيث ترى أذربيجان

وفعلاً كان رهان أذربيجان على إسرائيل في تعزيز علاقتها مع الولايات المتحدة في مكانه، فقد لعب اللوبي اليهودي والمنظمات اليهودية دوراً كبيراً في تعزيز العلاقات الإسرائيلية الأذرية، من جهة، وفي تعزيز العلاقات الأمريكية الأذرية، من جهةٍ أُخرى، وقد رأت المنظمات اليهودية الداعمة لإسرائيل أنّ منطقة القوقاز تحمل مكنوناً كبيراً من الاستثمار الاقتصادي ومصادر الطاقة الذي قد تستفيد منه إسرائيل بشكل كبير.

في السلاح الإسرائيلي محوراً مهماً في تعزيز قدراتها الأمنية والعسكرية، ليس أمام أرمينيا فحسب، بل أمام مخاطر الإرهاب والتدخلات الأجنبية فيها.[٢٩]

المحور الإيراني في علاقات البلدين

تعتبر إيران الدولة التي تشترك إسرائيل مع أذربيجان في معاداتهما لها، ويعتقد باحثون أن المحور الإيراني هو العمود الفقري للعلاقات بين البلدين، حيث يدخل هذا المحور في مصالح الدولتين فيما يتعلق بالأمن القومي للبلدين وأمن الطاقة والاقتصاد وغيرها من المصالح المشتركة،[٣٠] وفضلاً عن أن إيران دولةٌ معاديةٌ لهما أيضاً، تضم إيران أقليةً أذريةً كبيرة (نحو عشرين مليوناً، أي عدد أكبر من عدد سكان أذربيجان نفسها). وعلى الرغم من الخلفية المذهبية والدينية المشتركة مع الأذريين، فإنهم من الناحية الإثنية يشكلون خُمس سكان إيران، ولا يشكل الانتماء الديني المذهبي عاملاً مركزياً في الرابطة القومية بينهم وبين الإيرانيين. وتخشى إيران من ظهور حركاتٍ انفصاليةٍ داخل هذه الأقلية تطالب بالانضمام إلى أذربيجان أو حتى الانفصال. وقد وصف فؤاد أهوندوف مستشار الرئيس إلهام علييف العلاقات مع إيران على النحو التالي: «إيران لا تحب التعاون بيننا وبين إسرائيل... جزء من الإسرائيليين هم أذريون، ومن السهل علينا العمل معهم، إيران هي المشكلة وليست إسرائيل.»[٣١]

تعززت العلاقات الإسرائيلية مع أذربيجان بسبب النفط، حتى الثورة الإيرانية كانت إيران المزودة الرئيسية للنفط لإسرائيل، ويعتقد غوكسيل أن السياسات الاقتصادية وأمن الطاقة يلعبان دوراً مركزياً في تعزيز العلاقات بين البلدين أكثر من التعاون العسكري.[٣٢] فبعد توقف تدفق النفط الإيراني، حاولت إسرائيل استيراد النفط من المكسيك، إلا أن بُعد المسافة أعاق تزويد النفط بشكل ثابت وبكميات كبيرة، وبأثمانٍ معقولةٍ على غرار النفط الإيراني. وبعد بداية العلاقات بين إسرائيل وأذربيجان، ظهرت الأخيرة كدولة نفطيةٍ مهمة، وتحولت إلى المُصدّر الأساسي للنفط إلى إسرائيل حيث يشكل النفط من أذربيجان نحو ٤٠٪ من واردات إسرائيل من النفط.[٣٣] ويمر النفط الأذري عبر أنبوب تبليسي إلى تشيهان مروراً بجورجيا بعدها إلى تركيا ثم إلى إسرائيل، ويشكل هذا الأنبوب رافعةً اقتصاديةً لتركيا. وتفكر الدولتين، أي إسرائيل وأذربيجان ببناء خطٍّ ناقلٍ للنفط يربط بين تشيهان وميناء أسدود مباشرة. وقد توقفت المحادثات حول هذا المشروع في أعقاب سيطرة إسرائيل على سفينة مرمرة وقتل تسعة مواطنين أتراك. ونظراً للعلاقات المتينة بين تركيا وأذربيجان فإن المحادثات حول هذا الخط توقفت، إلا أن المحادثات السرية استمرت فيما بعد، حيث بذلت أذربيجان جهوداً دبلوماسيةً لإعادة العلاقات الطبيعية بين تركيا وإسرائيل.[٣٤]

ويعتبر المحور الأمني المتعلق بإيران عاملاً في تعزيز العلاقات الإسرائيلية– الأذرية، ففي العام ٢٠١٢ أحبطت القوات الأمنية الأذرية عملية هجوم ضد السفارتين الإسرائيلية والأمريكية في العاصمة باكو، وقادت التحقيقات التي قادتها الأجهزة الأمنية الأذرية أنّ ٢٢ متورطاً في العملية تدربوا بواسطة عملاء إيرانيين، وإشارات السلطات الأمنية بأن العمليات الهجومية التي كان مخططاً لها من طرف إيران كانت تستهدف أيضاً اغتيال الرئيس الأذري إلهام علييف. وقد تعمق التعاون بين البلدين ضد إيران في أعقاب هذه الحادثة، فقد صرح دبلوماسيون أمريكيون عام ٢٠١٢ أن أذربيجان سمحت لإسرائيل باستعمال مطاراتها وقواعدها العسكرية قرب الحدود مع إيران في حال قررت إسرائيل مهاجمة القواعد النووية الإيرانية.[٣٥] وفعلاً إذا ربطنا هذا الخبر بالأخبار التي سُرّبت (في إسرائيل وخارجها) في السنوات الأخيرة بشأن الاستعدادات العسكرية الإسرائيلية لمهاجمة إيران، فقد كان العام ٢٠١٢ هو العام الذي قررت فيه إسرائيل مهاجمة المنشآت النووية الإيرانية، وقد مارست الولايات المتحدة وشخصيات أمنية إسرائيلية ضغوطاً كبيرةً على صانعي القرار في إسرائيل، ما منع إخراج هذا المخطط لحيز التنفيذ.

جدول يلخص الزيارات المتبادلة بين المسؤولين في البلدين

مستوى الزيارة	تاريخ الزيارة	هوية الزائر
رؤساء الدول	حزيران ٢٠٠٩	زيارة شمعون بيرس، رئيس دولة إسرائيل، لأذربيجان لمدة يومين.
رؤساء الوزراء	تموز ١٩٩٧	زيارة بنيامين نتنياهو.
	شباط ٢٠١٠	زيارة أيهود أولمرت.
علاقات بين الوزارات	كانون الأول ١٩٩٩	زيارة نائب وزير الدفاع الإسرائيلي إفرايم سنيه في حكومة أيهود براك.
	كانون الأول ٢٠٠١	زيارة نائب مدير عام وزارة الخارجية الإسرائيلية بيلغ فترة حكومة شارون.
	آذار ٢٠٠٥	زيارة نائب وزير الخارجية الأذري إلى إسرائيل.
	حزيران ٢٠٠٥	زيارة وزير الزراعة الأذري إلى إسرائيل.
	حزيران ٢٠٠٥	زيارة وزير الشباب والرياضة والسياحة الأذري إلى إسرائيل.
	تشرين الأول ٢٠٠٦	زيارة شعبة الشؤون السياسية والأمنية في وزارة الدفاع الإسرائيلية إلى أذربيجان.
	شباط ٢٠٠٧	زيارة وزير التطوير الاقتصادي الأذري إلى إسرائيل.
	شباط ٢٠٠٧	زيارة نائب وزير الدفاع الإسرائيلي إلى أذربيجان.
	حزيران ٢٠٠٧	زيارة نائب مدير عام وزارة الخارجية الإسرائيلية إلى أذربيجان.
	حزيران ٢٠٠٧	زيارة وزير المواصلات الأذري إلى إسرائيل.
	تموز ٢٠٠٧	زيارة وزير الشؤون الاستراتيجية الإسرائيلي أفيغدور ليبرمان إلى أذربيجان.
	آذار ٢٠٠٨	زيارة نائب وزير الداخلية الأذري إلى إسرائيل.
	أيار ٢٠٠٨	زيارة وزير الزراعة الإسرائيلي شالوم سمحون إلى أذربيجان.
	أيار ٢٠٠٩	زيارة وزير الصحة ونائب وزير الدفاع الإسرائيلي إلى أذربيجان.
	حزيران ٢٠٠٩	زيارة وفد من وزارتي الدفاع والخارجية الإسرائيليتين إلى أذربيجان.
	شباط ٢٠١٠	زيارة وزير الخارجية الإسرائيلي ليبرمان إلى أذربيجان.
	أيار ٢٠١٠	زيارة نائب وزير الخارجية الأذري إلى إسرائيل، إضافةً إلى رئيس لجنة العلاقات مع الجاليات الخارجية في البرلمان الأذري.
	أيار ٢٠١٠	زيارة مدير عام وزارة الدفاع الإسرائيلية إلى أذربيجان.
	تشرين الثاني ٢٠١١	زيارة وزير البنى التحتية الإسرائيلي عوزي لنداو إلى أذربيجان.
	كانون الأول ٢٠١١	زيارة مدير عام وزارة الخارجية الإسرائيلي إلى أذربيجان.
	كانون الأول ٢٠١١	زيارة وزير التطوير الاقتصادي الأذري إلى إسرائيل.
	نيسان ٢٠١٢	زيارة وزير الخارجية الإسرائيلي أفيغدور ليبرمان إلى أذربيجان.
	أيار ٢٠١٣	زيارة وزير خارجية أذربيجان إلى إسرائيل لمدة ثلاثة أيام.

خاتمة:

عرض البحث الحالي العلاقات السياسية والاستراتيجية بين إسرائيل وأذربيجان، وقد توصل البحث إلى نتيجةٍ مفادُها أنَّ تقاطع المصالح الاستراتيجي بين دولتين في سياقٍ تاريخيٍّ معينٍ قد يؤدي في نهاية الأمر إلى تعزيز العلاقات الدبلوماسية بينهما من السر إلى العلن، ومن المجال الأمني العسكري إلى بناء تفاهماتٍ استراتيجيةٍ أوسع وأشمل لمختلف القضايا.

تعززت العلاقات بين الدولتين في السر والعلن على مدار عقدين ونصف العقد، منذ استقلال أذربيجان عام ١٩٩١. وجاءت زيارة وزيرة خارجية أذربيجان إلى إسرائيل عام ٢٠١٣ لتدشن مرحلةً جديدةً من هذه العلاقات، فقد كانت تلك الزيارة أول زيارة لمسؤول أذري رفيع المستوى إلى إسرائيل، وهي تؤكد عمقَ العلاقات، فكانت الزيارة احتفالاً بمرور ٢٠ عاماً على العلاقات الدبلوماسية بين البلدين، ولوحظ أنّ إسرائيل باتت تُولي اهتماماً كبيراً في السنوات الأخيرة لهذه الدولة في وسط آسيا ومنطقة القوقاز، فتسارعت الزيارات الإسرائيلية هناك من مستوياتٍ سياسيةٍ مختلفة، وبهدف بحث التعاون في مجالاتٍ متعددة لا تقف عند التعاون الأمني والعسكري فحسب، وإنما تشمل، أيضاً، بناء مساحات تعاون في مجالات الزراعة والصناعة والتطوير الاقتصادي والطاقة وغيرها.

تؤكد الدراسة أنّ تقاطع المصالح بين الدولتين فرضته البيئة الإقليمية والدولية المتحولة في العقدين الماضيين، وكان الموضوع الإيراني والبحث عن مصادر جديدة للطاقة والتواصل مع العالم الخارجي عوامل مهمة في تعزيز علاقات البلدين. ورغم ذلك، لا يمكن فصل السياق الفلسطيني- الإسرائيلي والعربي الإسرائيلي عن بدء هذه العلاقات بين إسرائيل وغيرها من الدول، فمباحثات السلام التي انطلقت في بداية التسعينيات أزالت حاجزاً (على الأقل في البعد الرمزي) أمام محاولات إسرائيل تعزيز علاقاتها مع دولٍ إقليميةٍ وعالمية، ولم تكن أذربيجان بمنأى عن هذه التحولات. لا يعني ذلك أنّ العلاقات بين البلدين ما كانت لتكون لولا مباحثات السلام بين العرب وإسرائيل، فالمصالح التي وجهت أذربيجان نحو إسرائيل ربما كانت أقوى من عامل بداية مباحثات السلام، لكن بلا شك أعطتها هذه المباحثاتُ دفعةً قويةً إلى الأمام، على الأقل في الجانب العلني منها.

شكّلت العلاقات مع أذربيجان بالنسبة لإسرائيل فرصةً لا تُعوَّض في الكثير من المحاور، وازدادت أهمية هذه الدولة تباعاً بالنسبة لإسرائيل، كانت إسرائيل تتعامل مع هذه الجمهورية بدايةً تعاملاً عادياً، في إطار الإنجاز الرمزي، أي إقامة علاقات مع دولةٍ مسلمة، وربما رأت إسرائيل في الموضوع الاقتصادي الرافعة الوحيدة للعلاقات مع أذربيجان إلى جانب الرافعة الرمزية، فالبحث عن الطاقة بالنسبة لإسرائيل كان موضوعاً يتعلق بالأمن القومي الإسرائيلي. إلا أنّ بداية تحولات جديدة في البيئة الإقليمية الواسعة لإسرائيل ساهمت بشكلٍ تدريجيٍّ في إعلاء شأن العلاقات مع هذه الجمهورية، ففي منتصف التسعينيات بدأت إسرائيل تلتفت أكثر إلى المشروع النووي الإيراني، وتحذر من مخاطره عليها وعلى أمن المنطقة. ورأت إسرائيل في أذربيجان ساحةً خلفيةً مهمةً في التصدي للمشروع النووي، وليس صدفةً أن يكون نتنياهو أول مسؤول إسرائيلي كبير يزور أذربيجان عام ١٩٩٧ عندما شغل منصب رئيس الحكومة في ولايته الأُولى، وساعد على توثيق العلاقات تماهي الرؤية بين البلدين حول تقييم الخطر الإيراني. وازداد شأن هذه الجمهورية في المنظومة الإسرائيلية بعد تدهور العلاقات مع تركيا مع بداية الألفية الجديدة، وانتقال العلاقات مع تركيا من علاقات استراتيجية إلى علاقات دبلوماسية عادية، فزادت أهمية أذربيجان بسبب موقعها الجيو- استراتيجي فيما يتعلق بمصادر الطاقة والتحالف معها ضد إيران، ويلاحَظ أنه على الرغم من العلاقات المتينة بين تركيا وأذربيجان، فإن العلاقات بين أذربيجان وإسرائيل لم تتأثر بسبب توتر علاقات الأخيرة مع تركيا خلال العقد الأخير، وإنما ازدادت متانةً وتعاوناً.

تحولت أذربيجان إلى مركب أساسي في سياسات الأطراف الجديدة التي بلورتها إسرائيل في السنوات الأخيرة كردٍّ فعلٍ على التحولات التي حدثت في البيئة الإقليمية، وكانت أذربيجان إحدى حلقات سياسات الأطراف المحيطة بإيران، ربما تكون أذربيجان أول حلقة من سياسات الأطراف الإسرائيلية التي كان هدفها إيران بالأساس، ثم المحيط العربي بعد اندلاع الثورات قبل خمس سنوات، وسيظهر أنّ سياسات الأطراف الإسرائيلية الجديدة هي حلقة أوسع من سياسة الأطراف القديمة التي بلورها بن غوريون، فسياسة الأطراف القديمة كانت تحيط بالعالم العربي فقط (شملت تركيا وأثيوبيا وإيران)، فيما سياسة الأطراف الجديدة تحيط بالعالم العربي وإيران، فهي حلقة أوسع، وتشمل دولاً مثل: أذربيجان واليونان وجنوب السودان وغيرها. تحاول إسرائيل من سياسة الأطراف الجديدة بناء بيئةٍ إقليميةٍ بديلةٍ لها، ومحيطةٍ بالبيئة الإقليمية القديمة التي تتميز بالتوتر الدائم وغياب الاستقرار. يهدف بناء بيئة إقليمية جديدة لإسرائيل،

خارج البيئة التقليدية، إلى توقيع تحالفاتٍ استراتيجيةٍ ذات أبعادٍ عسكريةٍ واقتصادية، وهو ما كان في السنوات الأخيرة مع اليونان وقبرص وأذربيجان.

ويبقى السؤال المركزي الذي يحتاج إلى بحثٍ آخر: هل انتفاء تقاطع المصالح المشتركة بين البلدين سوف ينهي العلاقة الاستراتيجية بينهما؟ فمثلاً، إذا تم التوصل إلى اتفاق سلامٍ وتسويةٍ في إقليم نغورنو كاراباخ بين أذربيجان وأرمينيا، فهل ستتراجع العلاقات بين إسرائيل وأذربيجان؟ وهناك سؤال يتعلق أيضاً بالنظام الحاكم في أذربيجان، فإذا تغير هذا النظام نحو نظام ديمقراطي، فهل سينعكس ذلك على العلاقة بين البلدين؟ كلها أسئلة مهمة في سياق دراسة مستقبل العلاقات بين البلدين، لكنها تحتاج إلى دراسة أُخرى مستقبلية.

هوامش

1. Ephraim Sneh, Why Israel is Staying Silent on Azerbaijan-Armenia Conflict, AL monitor, 15\4\2016, Link: http://www.al-monitor.com/pulse/ar/contents/articles/originals/2016/04/israel-keeps-silent-ally-azerbaijan-conflict-armenia.html (http://www.al-monitor.com/pulse/ar/contents/articles/originals/2016/04/israel-keeps-silent-ally-azerbaijan-conflict-armenia.htmlhttp://www.al-monitor.com/pulse/ar/contents/articles/originals/2016/04/israel-keeps-silent-ally-azerbaijan-conflict-armenia.html (آخر مشاهدة ٢٠١٦/١٠/١٩)

٢ ليؤور ديان، أذربيجان هنا: جنة عدن للشعب اليهود وللحلم الصهيوني، معاريف، ٢٠١٥/٤/٢٧، انظر الرابط: http://www.maariv.co.il/journalists/journalists/Article-473054 (آخر مشاهدة ٢٠١٦/١٠/١٨).

٣ ليلخ فايتسمان، وزير خارجية أذربيجان: نحن نموذج للعلاقات بين دولة مسلمة وإسرائيل، ٢٠١٣/٥/٤، انظر الرابط: http://www.globes.co.il/news/article.aspx?did=1000845889 (آخر مشاهدة ٢٠١٦/١٠/٢٢).

4 Alexander Murinson, The Ties Between Israel and Azerbaijan, Ramat Gan: The Begin-Sadat center for Strategic Studies, 2015, p. 7.

5 Mahir Khalifa-Zadeh, Israel and Azerbaijan: to Counteract Iran, Central Asia and Caucuses, 13 (3), 2012, p. 68.

٦ مهند مصطفى، مشهد العلاقات الخارجية الإسرائيلية ٢٠١٤، في: هنيدة غانم (محررة). التقرير الاستراتيجي ٢٠١٦: المشهد الإسرائيلي ٢٠١٥، رام الله: مركز مدار: المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية، ٢٠١٦، (فصل مشهد العلاقات الخارجية). وأيضا: Alexander Murinson, Ibid, p. 12.

7 Alexander Muronson, Ibid, p. 13.

٨ يوسي ألبير، دولة وحيدة: البحث السري الإسرائيلي عن حلفاء في المنطقة، بني براك: منشورات مطر، ٢٠١٥.

٩ غاليا لندشتراوس، إسرائيل–أذربيجان: علاقات خاصة مقابل التقييدات، مجلة «عدكان استراتيجي»، المجلد ١٧، العدد ٤، ٢٠١٥، ص: ٦١.

10 Adam Hug, Spot line on Azerbaijan, London: The Foreign Policy Center, 2012, p. 3.

١١ حول الاقتصاد الأذري، نظر الرابط التالي: http://www.ebrd.com/downloads/legal/irc/countries/azerbaijan.pdf (آخر مشاهدة ٢٠١٦/١٠/١٦).

١٢ زئيف ليفين، أذربيجان بين أوروبا والشرق الأوسط، موقع الشرق الأدنى: مجلة الشرق الأوسط لإسرائيل، ٢٠١٥/١٠/١٥، أنظر رابط المقال: http://www.near-east.co.il (اخر مشاهدة ٢٠١٦/١٠/١٥).

١٣ موقع والا الاخباري، كيف تحولت أذربيجان الى شريكة في الحرب السرية على إيران؟، موقع والا الاخباري، ٢٠١٢/٣/١، أنظر الرابط: http://news.walla.co.il/item/2509721 (آخر مشاهدة ٢٠١٦/١٠/٢٠).

١٤ غاليا لندشتراوس، مصدر سبق ذكره، ص: ٦٢. وانظر أيضاً: ملخص العلاقات بين البلدين الصادر عن وزارة الخارجية الأذربيجانية، وذلك على الرابط التالي: http://mfa.gov.az/files/file/Azerbaijan%20-%20Israel.pdf (آخر مشاهدة ٢٠١٦/١٠/٢٢).

١٥ ملخص العلاقات بين البلدين الصادر عن وزارة الخارجية الأذربيجانية، وذلك على الرابط التالي: http://mfa.gov.az/files/file/Azerbaijan%20-%20Israel.pdf (آخر مشاهدة ٢٠١٦/١٠/٢٢).

١٦ ليلخ فايتسمان، وزير خارجية أذربيجان: نحن نموذج للعلاقات بين دولة مسلمة وإسرائيل، ٢٠١٣/٥/٤، انظر الرابط: http://www.globes.co.il/news/article.aspx?did=1000845889 (آخر مشاهدة ٢٠١٦/١٠/٢٢).

١٧ بيلي فرنكل، الفرصة في الشرق: أذربيجان تنادي الإسرائيليين، موقع Ynet، ٢٠١٥/٥/١٠، انظر الرابط: http://www.ynet.co.il/articles/0,7340,L-4655221,00.html (آخر مشاهدة، ٢٠١٦/١٠/٢٠).

١٨ انشيل بيبر، الباب الخلفي الخفي لطهران، هآرتس، ٢٠١٣/٣/١، نظر الرابط: http://www.haaretz.co.il/news/politics/1.1940720(آخر مشاهدة، ٢٠١٦/١٠/١٩).

١٩ بيلي فرنكل، الفرصة في الشرق: أذربيجان تنادي الإسرائيليين، موقع Ynet، ٢٠١٥/٥/١٠، انظر الرابط: http://www.ynet.co.il/articles/0,7340,L-4655221,00.html (آخر مشاهدة، ٢٠١٦/١٠/٢٠).

٢٠ موقع «والا» الإخباري، كيف تحولت أذربيجان إلى شريكة في الحرب السرية على إيران؟ موقع «والا» الإخباري، ٢٠١٢/٣/١، انظر الرابط: http://news.walla.co.il/item/2509721 (آخر مشاهدة ٢٠١٦/١٠/٢٠).

٢١ موقع «والا» الإخباري، كيف تحولت أذربيجان الى شريكة في الحرب السرية على إيران؟، موقع «والا» الإخباري، ٢٠١٢/٣/١، انظر الرابط: http://news.walla.co.il/item/2509721 (آخر مشاهدة ٢٠١٦/١٠/٢٠).

٢٢ يائير أورون، لا تعطوا الأذريين سلاحاً، هآرتس، ٢٠١٤/١٠/٢٠.

٢٣ غاليا لندشتراوس، مصدر سبق ذكره، ص: ٦٣.

٢٤ انشيل بيبر، الباب الخلفي الخفي لطهران، هآرتس، ٢٠١٣/٣/١، انظر الرابط: http://www.haaretz.co.il/news/politics/1.1940720 (آخر مشاهدة ٢٠١٦/١٠/١٩).

25 Barak Ravid and Avi Scharf, Azeri Defense Ministry Plane landed twice in Israel During Fighting in Nagorno-Karabakh, Haaretz, 26\4\2016, Link: http://www.haaretz.com/israel-news/.premium-1.715293 (مشاهدة أخيرة: ٢٠١٦/١٠/٢٢)

٢٦ المصدر السابق.

27 Ephraim Sneh, Why Israel is Staying Silent on Azerbaijan-Armenia Conflict, مصدر سبق ذكره

28 Alexander Murinson, ibid, p. 19-20.

٢٩ نير دفوري، العلاقات الأمنية بين إسرائيل وأذربيجان آخذة بالتعمق، موقع القناة الثانية، ٢٠١٤/١١/٢٥، انظر الرابط: http://www.mako.co.il/news-military/security-q4_2014/Article-7d035415426e941004.htm

30 Oguzhan Goksel, Beyond Countering Iran: A political Economy of Azerbaijan-Israel Relations, British Journal of Middle East Studies, 42 (4), 2015, p. 655.

٣١ أنشيل بيبر، الباب الخلفي الخفي لطهران، هآرتس، ٢٠١٣/٣/١، انظر الرابط: http://www.haaretz.co.il/news/politics/1.1940720 (آخر مشاهدة ٢٠١٦/١٠/١٩).

32 Oguzhan Goksel, مصدر سبق ذكره.

٣٣ عمير ربيوت، التحالف مع أذربيجان سيساعد إسرائيل أمام إيران، موقع nrg، ٢٠١٤/٩/١١، انظر الرابط: http://www.nrg.co.il/online/1/ART2/620/777.html (آخر مشاهدة ٢٠١٦/٨/٢١).

٣٤ أنشيل بيبر، الباب الخلفي الخفي لطهران، هآرتس، ٢٠١٣\٣\١، أنظر الرابط: http://www.haaretz.co.il/news/politics/1.1940720 (اخر مشاهدة، ٢٠١٦/١٠/١٩).

35 Israel Hayom Staff, Azerbaijan Allows Israel to use its Air Bases near Iran Border, 29/3/2012, Link: http://www.israelhayom.com/site/newsletter_article.php?id=3718 (آخر مشاهدة ٢٠١٦/١٠/٢٠)